تقرير حول المؤتمر الفلسفي الرابع للجمعية الفلسفية الأردنية بعنوان "محمد أركون مفكراً"

د. ماجدة حمود*

تحت رعاية صاحبة السمو الملكي الأميرة سمية بنت الحسن المعظمة عقد في عمان المؤتمر الفلسفي الرابع للجمعية الفلسفية الأردنية، حول المفكر العربي محمد أركون من (١٥/ ٤ إلى ١٧/ ٤/ ٢٠٠٢)

تحدث في الجلسة الافتتاحية رئيس الجمعية الفلسفية الأردنية الأستاذ الدكتور هشام غصيب مبينا أن موضوع الندوة ليس بعيدا عما يحدث في فلسطين، فقد انشغل محمد أركون بهم النهضة الذي هو الطريق الأساسي لتحرير فلسطين وجميع الأراضي المغتصبة.

وقد اعتذر الأستاذ الدكتور غصيب لعدم استضافة المؤتمر باحثين من جميع البلاد العربية، واقتصارها على الباحثين من سورية والأردن والعراق، بسبب ضعف الإمكانيات المادية.

كما بيّن أن الجمعية الفلسفية اختارت محمد أركون في مؤتمرها الرابع، بعد أن اختارت في مؤتمراتها الثلاثة السابقة كلاً من: منيف الرزاز، أنطون سعادة، غالب هلسا.

ثم تحدث موضحا لِمَ اختارت الجمعية أركون موضوعا لمؤتمرها؟ فهو مفكر إسلامي، أرّقته قضايا النهضة، كما أرّقته قضية امتلاك التراث الإسلامي بشكل نقدي، كيف يسهم هذا التراث في بناء حداثتنا!

وقد رأى د. غصيب أن أركون قد شكل لغزا، كما شكل تحديا فكريا لدى كثير من الدارسين العرب والدارسين الغربيين.

بعد ذلك تحدثت راعية المؤتمر سمو الأميرة سمية، فوضحت لنا الأسباب التي دعت كلية علمية (هي كلية لأميرة سمية الجامعية للعلوم التطبيقية) لرعاية مؤتمر حول أحد المفكرين، فبيّنت أن الفلسفة أم العلوم، لذلك هناك حاجة ماسة إليها، مما دفع هذه الكلية التي تطمح أن يمتلك طلابها الوعي الفكري إلى جانب المعرفة بأحدث إنجازات العصر العلمية، مما يؤدي إلى بناء جيل يعتمد التنمية الشاملة.

لابد من أن نلفت نظر المسؤولين في جامعاتنا إلى ضرورة الاستفادة من هذه التجربة، من أجل العناية برفع السوية الثقافية لطلابنا، وإنقاذهم من الضحالة الفكرية التي تكبلهم، وتجعلهم أشبه بآلات لا هم لها سوى بصم المقرر الجامعي لصبه في ورقة الامتحان! بعيدا عن أي هم معرفي أو وعي ثقافي!

بدأت جلسات المؤتمر بعد هاتين الكلمتين الافتتاحيتين، بعد استراحة قصيرة، وقد كانت الجلسة الأولى برئاسة الدكتور أحمد ماضي، شارك فيها كل من الأستاذة الدكتورة نظلة الجبوري (بيت الحكمة، الدراسات الاجتماعية، بغداد) وكان عنوان بحثها "المقاربة السوسيولوجية في قراءة محمد أركون) كما شارك فيها الأستاذ الدكتور علي حسين الجابري (جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الفلسفة) وقد كان عنوان بحثه "الصيرورة والتاريخ في فكر محمد أركون)

* قسم اللغة العربية- كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق

أما الجلسة الثانية (المسائية) فقد كانت في الساعة الرابعة، وعقدت برئاسة الأستاذ الدكتور علي حسين الجابري، تحدث فيها الأستاذ عبد الرحمن الحاج إبراهيم (سورية، دمشق) ببحث عنوانه "من نزعة الأنسنة إلى استكشاف العقل الاستطلاعي" في حين تحدث الدكتور أيوب أبو دية (من الجمعية الفلسفية الأردنية) عن "إنسانوية العقل في الزمكان"

وأما الجلسة الثالثة (المسائية) فقد عقدت في الساعة السادسة، برئاسة الدكتور ماهر منانده، تحدث فيها الأستاذ الدكتور كفاح يحيى صالح العسكري (جامعة بغداد، كلية التربية) فتناول في بحثه "الإنسان عند محمد أركون" أما البحث الثاني في هذه الجلسة فقد كان للدكتور عبد الأمير كاظم زاهد (جامعة الكوفة، كلية الآداب، قسم الفلسفة) وهو بعنوان "قراءة في رهانات المعنى وإشكالية المنهج المعرفي لدى محمد أركون"

وفي اليوم الثاني من المؤتمر (الثلاثاء ١٦/ ٤/ ٢٠٠٢) كانت الجلسة الرابعة (الصباحية) في الساعة العاشرة، وقد عقدت برئاسة الدكتور أيوب أبو دية، وقد تحدثت الأستاذة الدكتورة ماجدة حمود (جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم اللغة العربية) فكان عنوان بحثها "التراث لدى محمد أركون" ثم قدّم الأستاذ أحمد العتوم (الجمعية الفلسفية الأردنية) بحثا بعنوان "بين المعرفة الأسطورية وبين المعرفة التاريخية في فكر محمد أركون"

في الجلسة الخامسة (المسائية التي عقدت في الساعة الرابعة) التي كانت برئاسة الدكتور محمد الشايب (الجمعية الفلسفية الأردنية) تحدث فيها الدكتور حازم سليمان الناصر (جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الفلسفة) وبيّن في بحثه "الاتجاه العقلي عند أركون" في حين تحدث الأستاذ نصر الدين بيبرس (من الأردن) عن "محمد أركون والتراث المتواصل سره"

أما في الجلسة السادسة (المسائية) التي عقدت في الساعة السادسة فقد رأسها الأستاذ أسامة بركات (الجمعية الفلسفية الأردنية) وقد تحدث فيها الأستاذ نايف ذياب (داعية معتزلي من الأردن) ببحث يتناول "إشكالية الخطاب الأركوني وقيمه في إحداث التغيير" أما المتحدث الثاني فكان الدكتور رضوان زيادة (سورية، دمشق) وكان عنوان بحثه "نقد العقل الإسلامي: السؤال التاريخي في السياق الاجتماعي"

وفي اليوم الثالث من أعمال المؤتمر (الأربعاء ١٧/٤/ ٢٠٠٢) كانت الجلسة السابعة (الصباحية) برئاسة الأستاذ الدكتور كامل أبو جابر (رئيس المجلس الأعلى للإعلام) تحدث فيها الدكتور ماهر هنانده (الجمعية الفلسفية الأردنية) عن "الدين في جدل الأصالة والمعاصرة عند أركون" ثم تحدث الأستاذ جاد الكريم شرف الجباعي (سورية، دمشق) عن "برهان العلمانية في المشروع الأركوني"

في الجلسة الثامنة (في الساعة الرابعة مساء) التي عقدت برئاسة السيدة خديجة العزيزي من الجمعية الفلسفية الأردنية، تحدث فيها الدكتور محمد الشايب (الجمعية الفلسفية الأردنية) عن "الرؤية الأركونية للخطاب القرآني" ثم تحدث الدكتور فيصل غازي مجهول (جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الفلسفة) وقد تناول بحثه "أركون ومحاولة الخروج من السياج الدوغمائي" بعد ذلك تحدثت الدكتورة ابتسام محمد فهد (جامعة بغداد، كلية التربية) عن "التربية في نظر أركون"

عقدت الجلسة الختامية التاسعة (في الساعة السادسة مساء) برئاسة الأستاذ الدكتور هشام غصيب (رئيس الجمعية الفلسفية الأردنية) تحدث فيها الدكتور غسان عبد الخالق (جامعة فيلادلفيا، الأردن) وكان بحثه بعنوان "الاستشراق عند أركون" أما المتحدث الثاني فكان الأستاذ موفق محادين (الجمعية الفلسفية الأردنية) الذي تناول في بحثه "الإسلاميات التطبيقية نقيضا للاستشراق" في حين كان المتحدث الأخير الأستاذ الدكتور جمال الشلبي (الجامعة الهاشمية، الأردن) قدّم بحثا بعنوان "الفكر السياسي لدى محمد أركون"

يلاحظ المتأمل لهذه الأبحاث التي قدمت في هذا المؤتمر تنوعها، فقد تعددت الزوايا التي نظر من خلالها الباحثون إلى أركون، وقد وصلت أحيانا إلى درجة التناقض (بعضهم يرى أنه خدم التراث عبر دراساته لاعتماده المناهج الحديثة في فهمه، وبعضهم يرى أنه أراد تدمير التراث من خلال استخدام هذه المناهج! بسبب تأثره بالغرب الذي يعيش فيه!)

كما لوحظ ضعف بعض الأبحاث، وتسرعها في إطلاق الأحكام، إذ وجدنا أحد الباحثين يعلن على المنبر أنه لم يعد إلا إلى كتاب واحد لأركون! مع أنه ترجم له حوالي واحد وعشرين كتابا! وهو رغم أنه لم يقرأ محمد أركون رأيناه يكيل الاتهامات له! ويتهمه بتدمير التراث، كما لاحظنا أن كثيرا من الباحثين لم يلحظوا التطور الذي طرأ على فكر أركون، فبنوا آراءهم على أحكام مسبّقة جامدة أساءت لأبحاثهم باعتقادنا!

رغم ذلك يتميز هذا المؤتمر عن كثير من المؤتمرات التي شاركت فيها، باهتمام منظميه بالحوار، وعدم الاكتفاء بإلقاء البحوث (فقد خصصت ساعتان لكل جلسة، الساعة الأولى لإلقاء الأبحاث والساعة الثانية للحوار الديمقراطي الذي يحترم وجهة النظر المخالفة، لذلك لم يشعر المتلقي بالملل، بل كان الحوار حافزا له لمزيد من المعرفة، ومزيد من التفهم للآخر، مما يحفّز المرء على تطوير ذاته بتطوير ثقافته، واستفادته من الرأي المخالف.

لعل من المهم أن نشير، هنا، إلى أن أركون الذي ولد في الجزائر حاول أن يسهم في حركة النهضة في المجتمع الإسلامي، رغم إقامته في فرنسة، لذلك، باعتقادنا، حقق تضامنا فكريا وروحيا مع مجتمعه الأصلي، فهو يهدف عبر أبحاثه، بالإضافة إلى ممارسة مهنته الجامعية، القيام بدراسة نقدية للفكر الإسلامي.

وقد **حدّد لنا بعض الشروط من أجل ممارسة فكر مسؤول إسلاميا وعقليا** اليوم، أي ممارسة فكر حر ومستقل ومرن:

- دعا إلى فكر نقدي بالمعنى الفلسفي والعلمي للكلمة، إنه ذلك الفكر الذي يهدف إلى التمييز والبصيرة والفطنة.
- بيّن أن النهوض الفكري بحاجة إلى تشجيع البحث العلمي الذي مازال متخلفا بسبب تفاقم المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية منذ السبعينيات.
- بالإضافة إلى دعوته إلى نقد الفكر العربي، دعا إلى نقد الفكر الغربي (الاستشراق) فقد لوحظ تجنيه على تراثنا، لذلك بإمكاننا أن نعدّ أركون أحد المحاورين الأساسيين مع الفكر الغربي اليوم، إذ إن إقامته في المجتمع الغربي، وتعمقه في الفكر الغربي ساعداه على أن يبدأ نقاشا حواريا مفتوحا يتسم بالعلمية، فبيّن الأخطاء التي وقع فيها المستشرقون مثلا حين قسّموا الإسلام إلى عدة أنواع (لاهوتي، اجتماعي، تاريخي) كما وضّح أن مثل هذه النظرة تتسم بالمحدودية والقسرية!
- يلفت نظرنا إلى أن ظاهرة الاستعمار وتّرت العلاقة الفكرية بين الشرق والغرب، وأشاعت بين العرب ضروبا من عدم التوازن النفسي والاجتماعي والاقتصادي، مما أدى إلى رفض الفكر الغربي، ورفض كل ما هو جديد، لذلك قاتل أركون على جبهتين: الجبهة العربية التقليدية التي رفضت استخدام المناهج الحديثة في قراءة التراث، والجبهة الغربية، إذ شاركت المسلمين التقليديين

في رفضها تحليل التراث على أساس التفكيك، بحجة عدم التدخل في الشؤون الإسلامية، واتخاذ موقف موضوعي محايد!

- دعا إلى إبداع فكر عربي إسلامي قادر على تجاوز الفكر الغربي الواثق من نفسه.
- يرى أركون أن دراسة الظاهرة الدينية لن تكون مجدية إلا إذا استعنا بمناهج نقدية حديثة متنوعة (نفسية، اقتصادية، سياسية، فكرية...) أي الاعتماد على كل ما يشكل المجتمع.

من هنا نجد أن أركون قد اعتمد منهج (علم النفس التاريخي) الذي يبرز أهمية الخيال والمخيال الأسطوري والوعي الجماعي، باعتباره عاملا أساسيا ومحركا في التاريخ الإسلامي، بالإضافة إلى الاقتصاد والماديات.

كما حاول أن يفكك النص ألسنيا، كي يعرف كيفية تشكله، وبذلك يتعامل معه على صعيد النص مباشرة: صعيد اللغة العربية، ولحظة تشكل الدين الإسلامي، أي يحاول أن يلتمس الدين النقي بعيدا عما علق به من أساطير وأوهام وتفسيرات الآخرين.

إن هذه المنهجية التفكيكية، برأي أركون، تساعد على تحرير الروح الإنسانية من كل ما ينحرف بها عن جادة الحقيقة، وذلك من أجل إعلاء لغة العقل والإسهام في إزالة كل ما يقهر الروح من ظلم وعنف واستلاب وتعصب.

أخيرا يحسن أن نشير إلى أهم التوصيات التي خرج بها مؤتمر الجمعية الفلسفية الأردنية "محمد أركون مفكرا":

١. طغت على أجواء المؤتمر هموم الانتفاضة الفلسطينية، فامتزج الهم الفكري بالهم الفلسطيني، خاصة أن المتتبع لأعمال محمد أركون يلاحظ أن النهضة الإسلامية شكلت أحد أكبر همومه، لذلك دعا المؤتمر إلى ضرورة تفعيل هذه النهضة من أجل تحرير الأرض المغتصبة، كما دعا إلى مساندة الانتفاضة بجميع الوسائل من أجل دعم صمود أهلنا في فلسطين.

٢. لما كانت أعمال المفكر محمد أركون يتم تلقيها لدى المتلقي العربي عبر ما ترجم من أعماله، دعا المشاركون إلى الاهتمام بهذه الترجمة، وإعادة النظر بما ترجم من قبل، فقد لوحظت كثرة الشكوى، سواء أكانت هذه الشكوى من الحضور أم من المشاركين، من صعوبة تلقي كتب أركون المترجمة!

٣. دعوة وزارة الثقافة الأردنية، بمناسبة اختيار عمان عاصمة ثقافية، إلى طباعة الأبحاث المشاركة في أعمال المؤتمر في كتاب خاص، بعد أن يتم عرضها على لجنة محكمة.

٤. جمع كل الدراسات التي كتبت حول أركون، ومراسلة جميع الباحثين العرب والأجانب من أجل موافاة الجمعية الفلسفية الأردنية بما لديهم من دراسات ومقالات حول هذا المفكر.

٥. الاهتمام بدراسة الإنجاز الفكري لمحمد أركون، لأن الدراسات التي تدور حول منجزاته الفكرية مازالت قليلة، لذلك دعا المؤتمر الباحثين في الفكر العربي الحديث إلى الاهتمام بأعمال أركون، كما دعا طلاب الدراسات العليا في الجامعات العربية إلى دراسته في رسائلهم الجامعية.

٦. دعا المشاركون إلى ضرورة اهتمام المدارس العربية والجامعات بتدريس الفلسفة، ليتم بناء إنسان عربي واع، يستطيع أن يقاوم الغزو الثقافي الذي تتعرض له أمتنا، ويستطيع أن يحافظ على هويته واستقلال شخصيته، بما يملكه من ثقافة تعلي من شأن العقل والعمل.

٧. التوجه بالشكر لكل من ساهم في إنجاح هذا المؤتمر، وخاصة سمو الأميرة سمية بنت الأمير حسن المعظم، و الهيئات الخاصة التي دعمت هذا المؤتمر كافة ماديا ومعنويا.

٨. التوجه بالشكر لوسائل الإعلام الأردنية التي اهتمت بهذا المؤتمر، وخاصة التلفزيون الأردني وصحيفة الرأي والدستور.

٩. عبّر المشاركون عن إعزازهم وشكرهم للجمعية الفلسفية الأردنية، وخاصة اللجنة التنظيمية، التي رعت هذا المؤتمر، وبذلت جهدا جبارا من أجل إنجاحه.

١٠. دعا المشاركون الجمعية إلى الاستمرار في خطتها في الاهتمام بالفكر العربي، وأن تخصص المؤتمر القادم لأحد المفكرين العرب.